

العمارة في مدينة الحضر

ملاحح هلنستية وكتابات آرامية

عادل الجادر¹

الحضر مدينة عراقية تقع على بعد 110 كم جنوب غرب مدينة الموصل في شمال العراق . فهي تعد من المدن الخالدة في تاريخ العراق القديم . لقد اكتسبت الحضر أهمية كبيرة في تاريخ العرب قبل الإسلام، ذلك باعتبارها مدينة حصينة سكنتها القبائل العربية ودافعت عنها حينما تعرضت إلى المخاطر والتهديدات الرومانية والفارسية . وبالنظر إلى أهميتها الجغرافية وموقعها الإستراتيجي، فإن مدينة الحضر قد هيمنت على الطرق البرية التجارية والعسكرية، وكانت واحدة من مدن الصحراء أو ما تسمى بمدن القوافل التي لعبت دور المنطقة الفاصلة بين الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية اللتين اقتسمتا العالم القديم في القرون الأولى للميلاد، وكان بينهما صراع دائم على النفوذ والسيطرة عليها² (أنظر الخريطة) . وقد ازدادت أهميتها العسكرية إبان الحروب الطويلة بين الرومان في الغرب والفرثيين في الشرق لاسيما في الأعوام 36-69 ق.م.، حيث أصبحت الحضر مركزاً للقبائل العربية الصحراوية، حتى وصفها المؤرخون الرومان مثل ديوكاسيوس وهيروديان بالمدينة (العربية)³ .

وما يؤكد هذه الحقيقة التاريخية ما ورد في كتابات الحضراالارامية بأن الحضر كانت عاصمة لمملكة عربية سميت (عربايا) أي بلاد العرب وحكمها ملوك عرب لقبوا بملوك العرب المنتصرين⁴ . إن تأثير العرب البالغ في الحضر يمكن تلمسه من خلال أسماء الأعلام العربية التي وردت بكثرة في كتابات الحضراالارامية وهذا بلا شك يفسر وجود نسبة كبيرة من السكان

1. أستاذ محاضر - المعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس - جامعة تونس المنار .

2. انظر :

Drijvers (H.-J.-W.), *cults and Beliefs at Edessa*, (Leiden 1980) 3 ; John (F.) Healey, *Aramaic Inscriptions and Documents of the Roman period*, Oxford University Press, 2009) 16.

3. انظر :

Healey, *op. cit.*, 16.

4. انظر كتابات الحضر H 203, H194, H 82, H 79 : اعتمدنا نظام ترقيم كتابات آرامية الحضر المستعمل في كتاب :

Beyer (K.), *Die aramäischen Inschriften aus Assur, Hatru und dem übrigen Ostmesopotamien*, (Vandenhoeck & Ruprecht in Göttingen 1998).

أنظر أيضا : واثق الصالح، « عمارة الحضر » في : حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد (1985)، 224.

العرب الذين اختلطوا بالآراميين واستعملوا لغتهم في التدوين إلى جانب المقدونيين وإناس آخرين⁵.

تمتعت الحضر باستقلال ذاتي ضمن السيطرة العامة للإمبراطورية الفرثية وبالحرية الكاملة في ممارسة عقائدها الدينية حيث ضربت النقود الخاصة بها التي حملت النقش «الحضر مدينة الشمس». غير إن التأثيرات الهلنستية في الفن والعمارة ظلت شاخصة على معابدها ومبانيها إلى اليوم، والذي جعل المدينة تحتفظ بخصائصها المعمارية على مر العصور هي أنها كانت معزولة في الصحراء ولم تحدث فيها إنشاءات معمارية في الأوقات اللاحقة⁶.

فيما يتصل بتأسيس ونشأة المدينة، فهناك من يرى انها كانت قرية في زمن الآشوريين في منطقة تتجمع فيها مياه الأمطار المنسابة من على المنحدرات المجاورة⁷، ويبدو أن هذه الفرضية ضعيفة كونها مجرد تخمين ذلك لعدم وجود سند أو دليل مادي يدعمها، بيد انه في الفترة السلوقية، في حدود القرن الثاني قبل الميلاد، أشارت الدلائل المعمارية والأثرية متمثلة بالأعمدة والمنحوتات واللقى الآثرية إلى أن هناك من استوطن الموقع وشيد الأبنية من الحجر وأخرى من الطين في أطراف مختلفة من الموقع⁸، فضلاً عن العثور على أقدم نص آرامي مكتشف إلى اليوم ربما يعود تاريخه إلى سنة 44 قبل الميلاد حسب التقويم السلوقي وهي الكتابة التي تحمل الرقم (H 416)⁹.

أهمية مدينة الحضر

لقد تجلت أهمية المدينة عبر التاريخ في الجوانب العسكرية والدينية والتجارية. من الناحية العسكرية، فإن الحضر من المدن المهمة في التاريخ العربي قبل الإسلام لأنها كانت مدينة محصنة ومنيعة استوطنتها قبائل عربية ودافعت عنها لدرء المخاطر الخارجية والأطماع الأجنبية. حيث تميزت الحضر في تخطيطها كمدينة شبه دائرية وسط الصحراء باعتماد الأسوار الحصينة والدفاعات المنيعة¹⁰ (أنظر المخطط رقم 1)، حيث أشار المؤرخ الروماني ديوكاسيوس في كتابه «التاريخ الروماني» عن حصار الرومان لمدينة الحضر لمرتين غير أنهم فشلوا في اختراق أسوار المدينة. ففي المرة الأولى صمدت الحضر أمام هجمات الرومان بقيادة تراجان في سنة 117 ميلادية، حتى يذكر أن الحضر قد أعلنت الثورة والعصيان على تراجان مع الرها وسلوقية ونصيبين¹¹. أما المرة الثانية، فعندما قام الإمبراطور سبتيموس سيفيروس بمحاولتين لإخضاع الحضر والسيطرة عليها الأولى في سنة 198 ميلادية والثانية في نهاية السنة نفسها، بيد أن الحضريين قاتلوا الجيوش الرومانية قتالا ضارياً متحصنين داخل أسوارهم مستعملين

5. انظر :

Drijvers, *op. cit.*, 5, 10-11.

6. انظر :

Healey, *op. cit.*, 16.

7. فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضر مدنية الشمس، (بغداد 1974) 17-18.

8. واثق الصالح، «مدن القوافل والحاميات العسكرية : 1- الحضر»، في المدينة والحياة المدنية، الجزء الأول (بغداد 1988)، 298.

9. انظر :

Beyer, *op. cit.*, 106, 142.

10. واثق الصالح، المدينة، 299.

11. انظر :

Healey, *op. cit.*, 16-17.

وسائل دفاع متقدمة منها قذائف النار الحضرية التي اشتهرت بها المدينة والمستخرجة من منتجات النفط إضافة إلى استعمال المنجنيقات التي ترمي الحجارة ، وعلى الرغم من مقاومة الحضريين الشرسة ، فإن الجنود الرومان تمكنوا من إحداث ثغرة في سور المدينة أملا بان يجبروا العرب على الاستسلام وعقد معاهدة معهم ، لكن هذه الجهود باءت بالفشل عندما تمكن الحضريون من إصلاح أسوار المدينة ليلا واستطاعوا صد الجنود الرومان وافشلوا هجومهم ، وقد قاد الدفاع عن الحضر عبدسميا الملك الذي لقب نفسه بملك العرب واشتهر بقيامه بأعمال عمرانية كبيرة في المدينة¹².

بعد سقوط الإمبراطورية الارشاقية ، حاول الساسانيون تحت حكم أردشير I (224-242 م) السيطرة على الحضر غير إنهم فشلوا في احتلالها حسب ما جاء في كتاب تاريخ دي كاسيوس ، بعد ذلك تحالف الحضريون مع الرومان¹³ واستقبلوا حامية رومانية في زمن كورديان III (238-243 م) ، وقد وجد تمثالان رومانيان في المعبد الهلنستي يعبران عن ولاء وطاعة أفراد الحامية الرومانية للإله الشمسوالإله هرقل وعلى قاعدتيهما كتابات باللغة اللاتينية¹⁴.

وفي النهاية تمكن الساسانيون من السيطرة على المدينة في 240 م بقيادة أردشير I أو أبنه شاپور 240-273 م خلال وصايتها على العرش سوية (240-242 م) وبعد ذلك هجرت المدينة ولم تعد صالحة للسكن عندما زارها اميانوس مرسيلانيوس في عام 363 م¹⁵.

أما دينيا ، فإن أبنية الحضر تعكس أهمية المدينة الدينية بمبانيها المهيبة التي كانت تعتبر مركز جذب للكثير من الزائرين للتبرك وممارسة الطقوس المتبعة في الاحتفالات وإقامة الصلوات ، لذلك أصبحت الحضر مركزا دينيا للقبائل العربية التي سكنتها فأنشأت العديد من المعابد الصغيرة والمزارات الخاصة بالعبادة ، إضافة إلى المساهمات المادية في تشييد المعابد الضخمة وتأثيرها عن طريق تقديم النذور والهدايا والأموال والمعادن الثمينة كالذهب والفضة ، وقد أكد ذلك ما كشفته الحفريات الأثرية عن وجود حصالة في كل معبد لإيداع الأموال المتبرع بها¹⁶ ، ويعتقد أن تقديم النقود يعد جزءا من الطقوس الدينية التي كان يمارسها المتعبدون لنيل رضا الإله¹⁷.

للديانة الحضرية طابعها الخاص الذي أستمدته من منابع الديانة الآشورية والبابلية وكذلك من الديانة الإغريقية الرومانية التي نشأت ونمت خارج العراق لكنها دخلت إليه مع دخول لاسكندر المقدوني ، والديانة الفارسية القديمة من مزدائية وزرادشتية يضاف إليها ديانة القبائل العربية الساكنة بالبادية التي تعتمد الظواهر الطبيعية والميل إلى التوحيد في المعتقد والعبادة. وقد برز في الحضر الآله الشمس كواحد من أشهر آلهة أقوام الجزيرة العربية ويعتبر كبير الآلهة في المدينة يناظره زيوس عند الإغريق وجوبيتر عند الرومان واهورا مزدا عند الفرس¹⁸.

12. واثق الصالحى ، المدينة .

Ibid, 17-18 ; 305-306.

13. انظر :

Ibid, 18.

14. واثق الصالحى ، المدينة ، 306 .

15. انظر :

Healey, op. cit., 18.

16. فؤاد سفر ، المرجع السابق ، 46. انظر :

Klaas Dijkstra, *Life and Loyalty*, (Brill (E.-J.) : Leiden. New York. Köln 1995), 175.

17. عادل الجادر ، « حول مضامين كتابات الحضر » ، الندوة العلمية على هامش مهرجان الحضر الدولي في الموصل ، (الموصل

1994) 20 .

18. فؤاد سفر ، المرجع السابق ، 41 .

في وسط المدينة انشأ المعبد الكبير الذي خصص لعبادة الإله الشمس وقد نعتته النصوص الآرامية الحضرية ال ١٥ رب ١ «الإله العظيم». لقد وجد اسم الإله الشمس مدونا على المسكوكات في الحضر في عبارة «الحضر مدينة الشمس» مضروبة على إحدى القطع التي عثر عليها في المدينة. ولم يكن معبد الشمس مركزا دينيا مكرسا للعبادة فحسب بل كان أيضا فضاء اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا للحضرين وسكان جزيرة العرب عموما، فكان يقصده الناس من مسافات بعيدة ويقدمون له النذور والقرايين ويدفنون موتاهم بجواره، وقد احتوى المعبد الكبير للإله الشمس على معابد صغيرة أخرى¹⁹ اتسم بعضها بمميزات معمارية هلنستية مثلما سنرى ذلك لاحقا عند كلامنا عن العمارة.

وفيما يتعلق الأمر بالتجارة، فقد انتعشت المدينة اقتصاديا خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد، إلى جانب المدن الأخرى القريبة منها مثل تدمر ودورا يوروبوس وأديسا (أورفا حاليا) مما جعل روزتوفتزييف أن يطلق على هذه المدن تسمية (مدن القوافل) رغم إن هذه التسمية لا تنطبق تماما على وظيفة كل منها²⁰. ومهما يكن من أمر، فإن وقوع الحضر على الطريق البرية التجارية المستعملة في نقل بضائع السفن القادمة من الصين والهند إلى المرافئ الواقعة في أعالي الخليج العربي محملة بالحريز والتوابل والأخشاب والعطور والأحجار الكريمة ومن ثم نقلها إلى الأسواق الغربية في روما، قد ساعدها على النمو والازدهار وتدفق الأموال عليها الذي انعكس ذلك في توظيف جزءا من هذه الأموال في تشييد أبنيتها الضخمة²¹.

ويظهر مما سبق إن مدينة الحضر في توسعها وازدياد أهميتها وتطورها إنما يعود في أسبابه إلى عوامل عسكرية وإستراتيجية ودينية وتجارية، حيث لعبت كل هذه العوامل مجتمعة دورا كبيرا في جعل المدينة تتمتع بشهرة واسعة متزامنة مع مدن تقع في مناطق جغرافية قريبة منها في الصحراء السورية العراقية ارتبطت معها بخصائص حضارية واجتماعية تكاد تكون واحدة لاسيما عندما يتعلق الأمر باللغة الآرامية ولهجاتها المتداولة في تلك المنطقة مفترضين إن اللغة اليونانية كانت مستعملة هناك على الأقل بين الطبقات الرفيعة في المجتمع ولأغراض إدارية²².

العمارة

عرفت الحضر عبر التاريخ بمبانيها ومعابدها المشيدة بالحجر المهندم والمزينة بالزخارف والتمائيل التي مازال القسم الأعظم منها قائما إلى اليوم بفضل أعمال الصيانة والترميمات التي أجرتها دائرة الآثار والتراث العراقية منذ منتصف القرن الماضي. ففي عام 1951 تم تنفيذ برنامج منظم للحفريات الأثرية في موقع مدينة الحضر القديمة، حيث ظهرت بقايا مدينة تنافس في عظمتها وفخامتها مدن الصحراء الغربية مثل تدمر ودورا يوروبوس (الصالحية) في سوريا والبتراء في جنوب الأردن. وكان من نتائج تلك التنقيبات الكشف عن أبنية المعبد الكبير ٥ ل ١ رب ١ الذي يقع في وسط المدينة وعدد من المزارات الصغيرة المتناثرة في أرجاء المدينة وعدد من دور السكن قريبة منها

19. المرجع نفسه.

20. انظر :

Drijvers, op. cit., 3.

21. فؤاد سفر، المرجع السابق، 19 ؛ واثق الصالح، المدينة، 298-299.

22. انظر :

Drijvers, op. cit., 3.

ومقابر لدفن الموتى يقع معظمها في الجانب الشرقي من المدينة وقسم منها داخل المعبد الكبير نفسه، إذ إن هذه المدافن لها ما يناظرها في تدمير ودورا يوروبوس²³.

والحضر مدينة مستديرة تقريبا يبلغ قطرها نحو كيلومترين ذات بوابات مزورة²⁴، ويعتبر المعبد الكبير الذي يتوسط المدينة أفخم وأجمل مبانيها ويحيط به سور أبعاده 323x438 م²⁵. لقد خصص هذا المعبد الكبير لعبادة الإله الشمس، رئيس آلهة الحضر وقد ذكر في إحدى كتابات الحضر الآرامية بأن (برمرين) بنى لأبيه الإله الشمس (مرن) المعبد الكبير (كتابة 107: 7)²⁶.

أثبتت الحفريات إن الحضر كانت محصنة بسور رئيس شبه دائري تعلوه العديد من الأبراج والقلاع لتعزيز الاستحكامات العسكرية للمدينة، حيث يعتقد أن تشييد هذا السور قد تم خلال القرن الأول ق.م والنصف الأول من القرن الأول الميلادي، فهو مبني من اللبن المنتظم بعرض 3 متر يقوم على أساس من أحجار مهندمة قد ترتفع إلى مترين فوق مستوى الأرض وزود ب 163 برجاً وهناك العديد من القلاع الحجرية استخدمت سقوفها لوضع المعدات الحربية الدفاعية عليها. ويحيط بالسور الداخلي خندق ويعتقد أن حفرة تم بنفس الوقت الذي شيد فيه السور. ويتراوح عمق الخندق بين 4-5 أمتار وبعرض 8 أمتار مدعم بطلعات لأبراج صغيرة لتقويته وزيادة مناعته، وفوق الخندق من جهة البوابة الشمالية وجدت قنطرة مبنية بعرض 5 أمتار توصل إلى أرض الحضر. لقد كشفت التنقيبات عن وجود سور ترابي خارجي يبعد حوالي 500 متراً عن السور الرئيسي، وثبت أن هذا السور الترابي كانت أسسه مرصوفة بأحجار صغيرة غير منتظمة وقد أنشأه الحضريون ليكون مانعاً أولياً خارج المدينة حتى يعيق حركة الجيوش الغازية عند الهجوم عليها. لمدينة الحضر أربع بوابات رئيسية مزورة بعرض 3,80 مترمشيدة على السور الرئيسي بالاتجاهات الأربعة وصممت بشكل يصعب على المهاجمين اقتحامها. وقد بني سور آخر مواز للسور الرئيسي داخل المدينة في فترة لاحقة (حوالي 230 م)²⁷ وهو واطئ ومشيد باللبن والمسافة بين السورين فتبلغ في منطقة البوابة الشمالية 12 متراً وعرضه 3 أمتار، أما ارتفاعه فيبلغ زهاء المتر والنصف وقد زود بسلاسل ذات خمس عتبات من حجر الحلان²⁸. وفي ضوء هذا التوصيف ممكن القول أن المدينة قد تميزت بتحسيناتها المؤلفة من أربعة خطوط دفاعية هي على التوالي من الخارج السور الخارجي والخندق والسور الرئيسي المدعم بالأبراج والقلاع ثم السور الداخلي. وهذا كان من أهم الأسباب في صمود أهل الحضر وبسالتهم في الدفاع عن مدينتهم أمام هجمات الغزاة²⁹.

المعبد الكبير

يقع في وسط المدينة ومشيد من الحجر المنجور والجص وهو يعد أبرز وأضخم المعالم المعمارية في مدينة الحضر ذلك لارتباطه بعبادة الإله الشمس كبير آلهة الحضر الذي تقدسه الأقوام التي سكنت الشرق الأدنى القديم.

23. واثق الصالحي، حضارة العراق، 225، 240-242.

24. فؤاد سفر، المرجع السابق، 22.

25. انظر :

Dijkstra, op. cit., 176.

26. لدى الحضريين تثلث يتردد ذكره في ادعيتهم ويتألف من الآلهة مدن (سيدنا) ومرتن (سيدتنا) وبرمرين (ابن سيدنا) وهم على التوالي الآلهة الأب والأم والابن (انظر فؤاد سفر، المرجع السابق، 41).

27. واثق الصالحي، حضارة العراق، 286-288.

28. ماجد عبد الله الشمس، الحضر العاصمة العربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (بغداد 1988)، 152.

29. واثق الصالحي، حضارة العراق، 227.

فالمعبد الكبير الذي سماه الحضريون في كتاباتهم الآرامية **ه ي ك ل ا ر ب ا** وأطلق عليه أيضا تسمية **ب ي ت ا ل ه ا** (بيت الآلهة) هو مستطيل الشكل محاط بسور في داخله مجموعة من المعابد المتناثرة لآلهة الحضر (انظر المخطط 2).

فلهذا السور مدخل رئيسي يقع على الجانب الشرقي إضافة إلى مداخل يبلغ عددها أحد عشر مدخلا وثمة جدار يمتد باتجاه شمالي - جنوبي يقسم المعبد إلى صحن وحرمة ويتخلله أربعة مداخل اثنان منهما رئيسيان يقعان وسط الجدار الفاصل. وقد ضم سور المعبد الكبير أبراجا مستطيلة أو مربعة الشكل إضافة إلى العديد من الغرف التي كانت تستعمل كمكاتب أو إقامة للزوار ومخازن يتم بها البيع والشراء³⁰ في حرم المعبد الكبير بنيت أهم معابد الحضر من الحجر المهندم والجص وشملت ما يلي حسب ما هو مبين في المخطط 2³¹.

1- الأواوين المتسقة المواجهة للشرق وهي مؤلفة من ثلاث وحدات بنائية فيها ثمانية أواوين تقع في صف واحد (المخطط 2 ز)

2- خلف الأواوين المتسقة يوجد معبد خصص للاله الشمس ويسمى ب (خلوة الشمس) (المخطط 2 ح)

3- معبد شحيرو الروماني (المخطط 2 د) ويقع في منتصف الجهة الغربية للجدار الذي يفصل بين الحرم والصحن.

4- يقابل معبد شحيرو باتجاه الجنوب معبد آخر خصص للإله سميا (المخطط 2 ج).

5- معبد التثليث الحضري مرن ومرتن وبرمرين ويقع وراء معبد سميا (المخطط 2 أ).

أما أهم أبنية الصحن فتتمثل بما يأتي :

1- معبد مرن أو ما يعرف بالمعبد الهلنستي الذي يتميز بطرازه المعماري الغربي (المخطط 2 ه). وستناول هذا المعبد كنموذج لتأثير العمارة الهلنستية على مباني الحضر.

2- معبد الإلهة العربية اللات في الجهة الجنوبية الغربية من المعبد الكبير (المخطط 2 ط).

معبد مرن نموذج للعمارة الهلنسية

يقع هذا المعبد في منتصف المعبد الكبير تقريبا في صدارة الصحن، وخصص لعبادة الاله (مرن) الآله الاب في التثليث الحضري بدلالة الكتابات الآرامية (147-188). وتتميز عمارة هذا المعبد بالاسلوب الإغريقي أو الهلنستي القديم الذي يعتمد البناء فيه على الأعمدة بدلا من الجدران. ويعتقد إن معبد مرن من أقدم الأبنية في المعبد الكبير³² وربما يعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد. استنادا إلى ما أشارت اليه بعض الدلائل الاثرية والمعمارية وبخاصة الزخارف³³.

يتألف المعبد من غرفة (خلوة) مستطيلة الشكل أبعادها 6,9x9,8 متر مفتوحة الى الشرق مبنية على مصطبة طولها من الاسفل 13,88 م وعرضها 10,52 م وبارتفاع 1,80 م عن الأرضية ويحيط بالغرفة صفان من الأعمدة، أعمدة داخلية مدورة صغيرة على الطراز الآيوني وعددها 24

30. فؤاد سفر، المرجع السابق، 327 ؛ واثق الصالح، حضارة العراق، 228 ؛ واثق الصالح، المدينة، 288.

31. فؤاد سفر، المرجع السابق، 328-329.

32. المرجع نفسه، 344.

33. واثق الصالح، المدينة، 294.

عمودا تقوم على حافات المصطبة. وأعمدة خارجية وهي أكبر حجما من الأعمدة الداخلية تقوم مباشرة على الأرض وعددها 25 عمودا من الطراز المركب (الايواني والكورنثي). وترتفع تيجان الأعمدة الخارجية الى مستوى ارتفاع الأعمدة الداخلية. يوجد أمام المعبد مدرج يوصل الى سطح المصطبة وتجدر الإشارة الى ان الأعمدة الكبيرة لا تستمر أمام مدخل المعبد ذلك لتوفير فضاء مناسباً للصعود على المدرج وصولاً إلى المدخل (أنظر شكل واجهة المعبد).

سقف المعبد من جانبيه الشمالي والجنوبي بين الأعمدة الداخلية والخارجية على شكل مستو، أما وسط المعبد فوق الغرفة (الخلوة) فإن السقف يأخذ شكلاً سنانياً أو ما يسمى بالجميلون، ويرتفع هذا السقف على قوصرتين، أمامية وخلفية ترتكزان على الأعمدة. ويربط الأعمدة الخارجية مع بعضها فوق تيجانها أربع روافد من الحجر (أنظر المخطط رقم 3)، فهي من الأسفل تبدأ بالجائز ثم الأفريز بصفين وبعدها الطنف. ولكل رافدة من هذه الروافد زخرفة مختلفة عن الأخرى³⁴.

لقد كشفت التنقيبات الأثرية في المعبد عن وجود تماثيل رومانية ترجع بأسلوبها الى النحت الهلنستي منها تمثال بوسايدون (إله البحر) وكيوبيد (إله الحب) وابولو (إله الشباب والجمال) وهرمز (إله المراسل)³⁵، ويعتقد إنها تعود الى فترة متأخرة عندما تحالف الحضريون مع الرومان ضد الغزاة الساسانيين بعد سقوط الإمبراطورية الفرثية ذلك في زمن كورديان III. وربما كانت هذه التماثيل موضوعة في كوات الجدران الخارجية للغرفة (الخلوة)³⁶. وعثر أيضاً على أربعة تماثيل كانت تزين زوايا سطح المعبد وهي من نوع (الأكريتوريون) التي عادة ما تستعمل لتزيين أركان المعابد اليونانية والرومانية من بينها تمثالان لإلهة النصر نايكة أحدهما من نحاس والآخر من الحجر³⁷.

مضامين معمارية في كتابات آرامية الحضر

بما ان الكتابات المكتشفة في الحضر هي من المصادر الأساسية في قراءة تاريخ المدينة وحضارتها باعتبارها أساساً في توثيق الأحداث والأحوال السياسية والاجتماعية، فإنها تعكس أيضاً المستوى الحضاري الذي بلغته المدينة خلال عصر ازدهارها وتطورها.

ان الكتابات النقشية الآرامية التي عثر عليها في الحضر تؤلف واحدة من اللهجات الآرامية المنقوشة بالخط الآرامي الحضري، تمتد ما بين سنة 44 ق.م. وهو تاريخ أقدم كتابة معروفة إلى اليوم (H 416) وسنة 238 ميلادية (H 35). ان مجموع الكتابات النقشية المنشورة حتى الآن يزيد عن 500 كتابة، حيث وجدت مدونة في أماكن مختلفة على جدران المعابد وارضفتها وعلى الأعمدة وقواعد التماثيل³⁸ وإلى جانب الكتابات الحضرية وجدت كتابات نقشية يونانية وأخرى لاتينية³⁹، ما يدل على ان هناك حضوراً أجنبياً لجاليات يونانية ورومانية وفارسية. ومهما

34. فؤاد سفر، المرجع السابق، 344؛ واثق الصالحى، المدينة، 293-294.

35. فؤاد سفر، المرجع السابق، 120-123، الصور 97-100.

36. واثق الصالحى، حضارة العراق، 237.

37. فؤاد سفر، المرجع السابق، 344، الصور 101-105.

38. انظر:

Adil al-Jadir, « Foreign Loanwords in Old Syriac and Hatran Aramaic Inscriptions », in Philip Sadgrove, (ed.), From Ancient Arabia to Modern Cairo : Papers from the BRISMES Annual Conference 2009, The University of Manchester, *Journal of Semitic Studies Supplement* 28, (Oxford University Press), 56.

39. فؤاد سفر، المرجع السابق، 20، واثق الصالحى، المدينة، انظر أيضاً: Dijkstra, op. cit., 236-243 ; Drivers, op.cit., 4-297.

يكن من امر، فإن معظم كتابات الحضرة هي عبارة عن نصوص قصيرة ذات مضامين تذكارية ونذرية وجنائزية وقانونية ومعمارية. وبقدر ما يتصل الأمر بالناحية المعمارية، فإن هناك نصوصا احتوت على معلومات مقتضبة عن تشييد أو إضافة بناء الى معبد أو بناء سور أو بوابة أو بناء غرفة وألى غير ذلك. فالكتابة رقم (H 107) منقوشة على لوح من حجر الكلس داخل الإيوان رقم 4 من أووين المعبد الكبير نقرأ فيها ما ترجمته⁴⁰ :

«أنا جدي بن أبيجد بن جدي بن أبيجد بن كبيرو من بني رفشمش ساعدت شمش، الاله العظيم، صانع الخيرات، في بيت الافراح العالي العائد للسجيل، المعبد الكبير، الذي بناه برمرين لشمش، أبيه، لحياتي ولحياة من هو عزيز علي».

في الكتابة رقم (H 272) المؤرخة في سنة 138 م تذكر أن أحد سادة الحضرة قام بتشيد معبد كبير خصص لعبادة آلهة التثليث الحضري. حيث وجدت منقوشة على لوح من حجر الكلس بثلاث قطع في إحدى بوابات المدينة المؤدية الى صحن المعبد الكبير وجاء فيها⁴¹ :

«بشهر اذار سنة 449 (138 م)، السور والبوابة اللذان بناهما نصر السيد في بيت الآلهة لحياته ولحياة ابنائه واخوانه ولحياة من هو عزيز على السيد، بنى في بيت شمش الإله الكبير... الذي ما يزال قائما. أنا عبد الله بن طفسرا بن نصر بنيت لحياة نشريهب السيد ولحياة ابنائه».

وهناك كتابة تحمل الرقم (H 408) مؤرخة في 235 م محفورة على حجرة حلان عثر عليها في الإيوان الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من ساحة المعبد رقم 13 (خارج المعبد الكبير). مذكورا فيها بناء غرفة مقبأة مع رواقين وجدرانها وترجمتها⁴² :

«في حزيران من 546 (ماي 235 ميلادية)، الغرفة المقبأة التي بناها عقا بن برني بن عقا بن بنوكتب وكلا الرواقين التابعين الى الغرفة المقبأة و جدرانها كلها لجدا العظيم (اله) رمجو، لحياة عقا ولحياة عبسا وجد يهب بنيه ولحياة اخوته ومن هو عزيز عليه، ولحياة رمجو ولحياة كل قريب له، يكون ساكنا فيها هو وبنيه ويخدمون فيها إلى الأبد....».

وهذه كتابة أخرى (H 403) محفورة على أسكفة المدخل الرئيسي تتعلق ببناء المعبد وترجمتها⁴³ :

«مذكور بالخير شمشعقب بن حنينا المهندس الذي بنى هذا المعبد للإله نبو، لحياة ابنائه كلهم».

والكتابة رقم (H 367) وجدت منقوشة على أحجار البناء للمعبد الذي بناه الملك سنطروق للإلهة العربية اللات بعد أن زينه نحت بارز لعازفين على مختلف الآلات الموسيقية وفيه⁴⁴ : «المعبد الذي بناه لللات سنطروق الملك ين نصر السيد وعبسيا ولي العهد ابنه مذكور بالخير».

40. انظر :

Healey, *op. cit.*, 276-277 ; Dijkstra, *op. cit.*, 196-200 ; Beyer, *op. cit.*, 53, H 107.

41. انظر :

Healey, *op. cit.*, 277-280 ; Dijkstra, *op. cit.*, 191-196 ; Beyer, *op. cit.*, 79, H 272.

42. انظر :

Healey, *op. cit.*, 280-282 ; Dijkstra, *op. cit.*, 205-208 ; Beyer, *op. cit.*, 103, H 408.

43. انظر :

Dijkstra, *op. cit.*, 196 ; Beyer, *op. cit.*, 101, H 403.

44. انظر :

Dijkstra, *op. cit.*, 200-202 ; Beyer, *op. cit.*, 97, H 367, H 368, H 369.

الكتابة رقم (H 62) مؤرخة في 164 م محفورة على لوح من رخام مطروحة عند المذبح داخل هيكل المعبد التاسع نقرأ فيها⁴⁵ : « بشهر مرحشون (أكتوبر / نوفمبر) سنة 476 بني عبد مليك بن يهيبا وعقبشمش ابنه مذبحا ومقاما لحياتهما وحياة ابنائهما » .
بالإضافة الى الأعمال المعمارية الهائلة التي قام بها المعمار أو المهندس الحضري (أردكل ا)⁴⁶ .
فان هناك عددا لا يستهان به من النحاتين الحضريين الذين تركوا أعمالا فنية ظلت شاهدا على مستوى الرقي والإزدهار الذي بلغته المدينة في ميدان النحت . وقد أبرزت كتابات آرامية الحضر المنقوشة على المنحوتات والتماثيل أسماء مجموعة من النحاتين والمعماريين التي تدل على مكانتهم الرفيعة التي تبوؤوها بين أقرانهم من الصناع (الفنانيين) حتى أن النحاتين أنفسهم اشتركوا مع المعماريين في الاشتغال بالعمارة والنحت معا كما هو الحال مع عائلة المهندس برنني بن يهبشي وابنائهم النحاتين (انظر الكتابة رقم H 1)⁴⁷ .

للزخرفة دور بارز في عمارة الحضر، فهي تعد جزءا مهما من الخصائص المعمارية في المدينة، وقد تمثلت في تزيين جبهات الأواوين بأعمدة ملاصقة للبناء وبتماثيل منحوتة على حجارات الأقواس في فتحات الأواوين وهذه المنحوتات أما ان تعبر عن الآلهة أو كائنات أسطورية أو أشخاص كان لهم مساهمة في البناء . ويلاحظ في الأعمال الزخرفية أشكال حيوانية ونباتية وهندسية من بينها التنين وورقة الأكاثوس والحبل المبروم والبيضة ورأس الرمح . إن هذا النوع من الزخرفة أختص بها المعمار الحضري عندما جمع أساليب الزخرفة الآشورية القديمة في تزيين أقواس تلاءواوين بالتماثيل وكذلك برؤوس الحيوانات واستعمل أيضا بعضا من أساليب العمارة الهلنستية لاسيما في استعمال أوراق الأكاثوس والبيضة ورأس الرمح إضافة الى العناصر التي ابتكرها بنفسه⁴⁸ .
في الختام نستطيع القول أن تأثير العمارة الهلنستية على مدينة الحضر قد بدا واضحا من خلال بناء المعابد على الطراز اليوناني والروماني وبخاصة معبد مرن ومعبد شحيرو ضمن أنشاءات المعبد الكبير . إن المعمار الحضري قد تمكن من موازنة العناصر المعمارية العراقية القديمة مع أساليب العمارة الهلنستية، وكان حصيلة ذلك هو إنتاج أسلوب معماري جديد تميزت به مدينة الحضر، « فهو مثالا صمم وبنى الأعمدة الحضرية بنوعيتها الحر والمتصق من الحجر المهندم بالطريقة الأغريقية ألتقليدية حيث أقامها بواسطة أساطين الواحدة فوق الأخرى وجعل قياسات ثلثها العلوي تتناقص حسب مبادئ العمارة الأغريقية في خداع النظر »⁴⁹ .

45. انظر :

Beyer, *op. cit.*, 44, H 62.

46. ترجع هذه اللفظة بأصولها إلى اللغة البابلية (Arad-Ekalli) ومعناها خادم القصر أو أحد حاشية القصر وموظفيه،

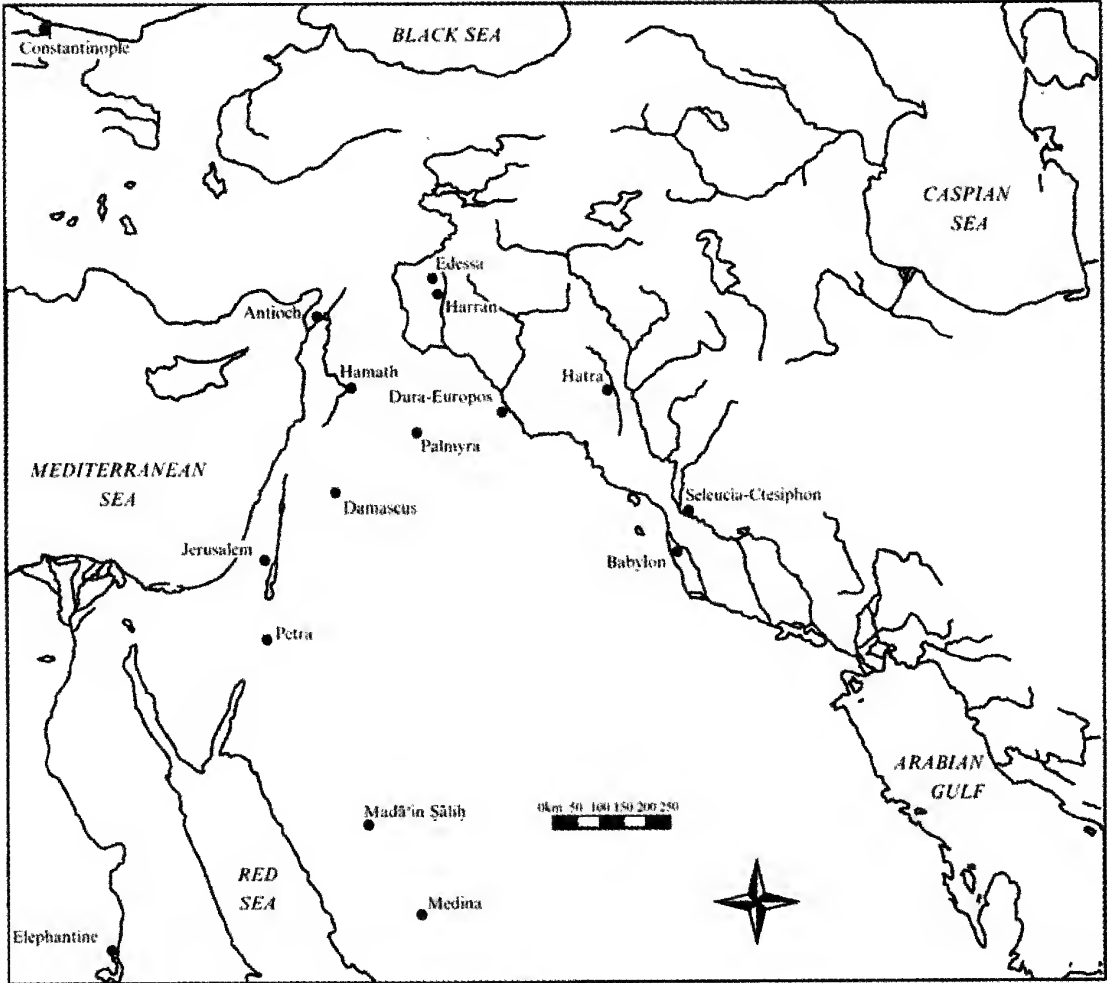
وتولد من هذا المعنى في العصر البابلي المتأخر (لعله منذ القرن السابع ق.م.) معنى فرعي للدلالة على المهنة

والصناعة وبالأخص المعمار والبناء. انظر : طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم، (بيروت 2001)، 9.

47. ناصر عبد الواحد الشاوي، « النحاتون الحضريون »، سومر، المجلد 53 (2005-2006)، 318-303.

48. فؤاد سفر، المرجع السابق، 324-325 ؛ ماجد عبد الله الشمس، المرجع السابق، 353-358.

49. واثق الصالح، حضارة العراق، 242-243.



مدن الشرق الأدنى في العهدين الهلنستي والروماني

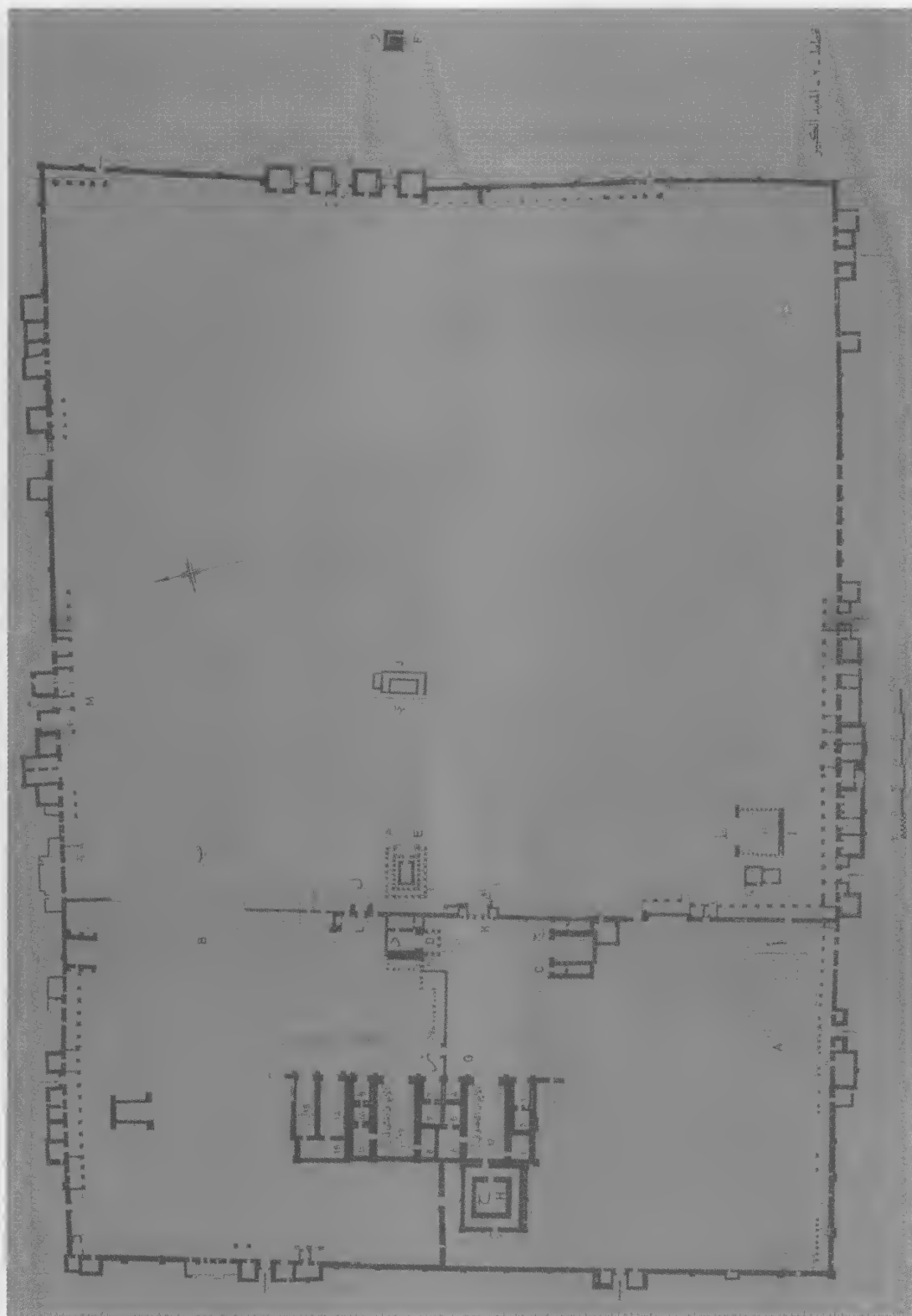
John F. Healey, *Aramaic Inscriptions and Documents of the Roman Period*,
(Oxford University Press 2009), p. 4



المخطط رقم 1

مدينة الحضر المدورة

فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضر مدنية الشمس، (بغداد 1974)، 10



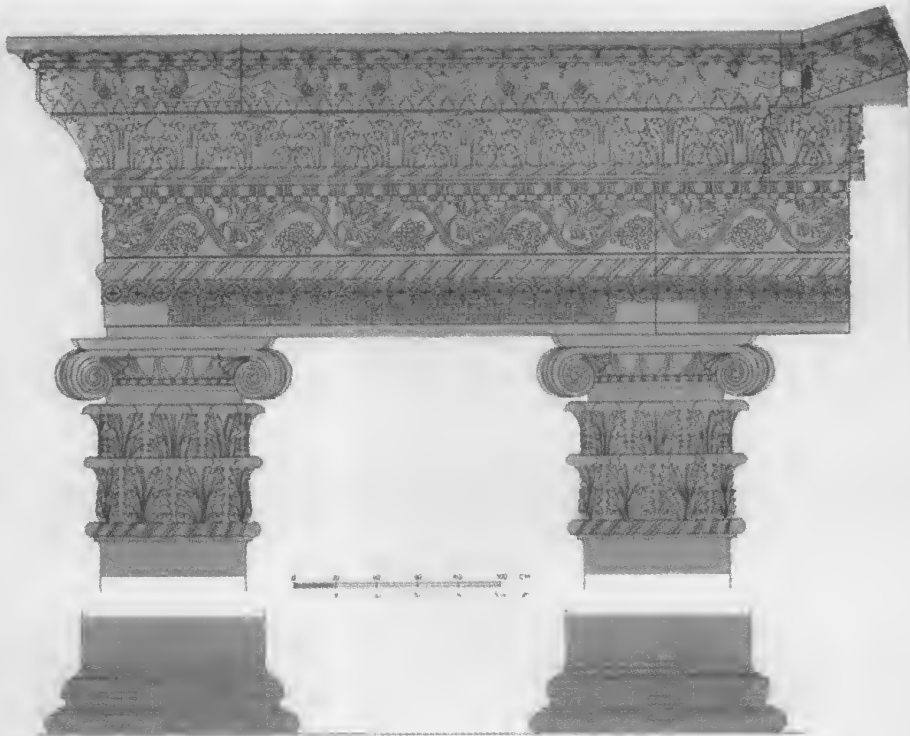
المخطط رقم 2

المعبد الكبير : فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، (بغداد 1974) ، 328-329



واجهة معبد مرن

<http://www.gideonbodden.nl/irakfotos/hatra1.jpg>



المخطط رقم 3

معبد مرن.

الطنف و الافريز و الجائز و زخارف الاعمدة

فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضر مدنية الشمس، (بغداد 1974)، 347 المعبد الكبير

